ملخص المجلس رقم (٢٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

١٤٤٣/٣/١هـ

من الصفحة: ٢٢٨ - ٢٥١

تابع... النوع الثامن والثلاثون: (معرفة إعجازه)

تابع... بيان الأقوال المختلفة في وجوه الإعجاز

نظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه	إخباره عن الضمائر من غير أن يظهر ذلك منهم بقول أو فعل	من إخباره عن قصص الأولين	الإخبار عن الغيوب المستقبلة	التأليف الخاص به	صرف العرب عن معارضته	
إن الإعجاز وقع بجميع ما سبق من الأقوال لا بكل واحد عن انفراده	البلاغة	استمرار الفصاحة والبلاغة فيه من جميع أنحائها	شيء لا يمكن التعبير عنه	النظم والتأليف والترصيف وأنه خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد	الفصاحة وغرابة الأسلوب والسلامة من جميع العيوب	

تابع.... تفصيل الأقوال:

الثالث: ما فيه من **الإخبار عن الغيوب المستقبلة** ولم يكن ذلك من شأن العرب.

مثاله: قوله تعالى: {قل للمخلفين من الأعراب} وقوله في أهل بدر: {سيهزم الجمع ويولون الدبر} وقوله: {لقد صدق الله رسوله الرؤيا} وكقوله: {وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض} وقوله: {الم غلبت الروم} وغير ذلك.

رد القول والتعقيب على الرد: رُد هذا القول بأنه يستلزم أن الآيات التي لا خبر فيها بذلك لا إعجاز فيها، **وهو باطل فقد جعل الله كل سورة معجزة بنفسها.**

الرابع: ما تضمن من **إخباره عن قصص الأولين وسائر المتقدمين حكاية من شاهدها وحضرها.**

مثاله: قال: {تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل}.

الرد والتعقيب: رد هذا القول بأنه يستلزم أن الآيات التي لا خبر فيها عن قصص الأولين بذلك لا إعجاز فيها، **نعم هذا والذي قبله من أنواع الإعجاز إلا أنه غير منحصر فيه.**

❋ الخامس: **إخباره عن الضمائر من غير أن يظهر ذلك منهم بقول أو فعل.**

مثاله: قوله: {إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا} وقوله: {وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله} وقوله: {وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون...} وكإخباره عن اليهود أنهم لا يتمنون الموت أبداً.

❋ السادس: -وصححه ابن عطية وقال-: إنه الذي عليه **الجمهور والحذّاق** وهو الصحيح في نفسه هو أن التحدي إنما وقع **بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه.**

وجه إعجازه أن الله أحاط بكل شيء علماً، وأحاط بالكلام كله علماً، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن علم بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلي الأولى ويتبين المعنى بعد المعنى ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره، والبشر معهم الجهل والنسيان والذهول **ومعلوم بالضرورة أن أحداً من البشر لا يحيط بذلك وبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة.**

بهذا النطق يبطل قول من قال: إن العرب كان في قدرتها الإتيان بمثله فلما جاءهم النبي ﷺ صرفوا عن ذلك وعجزوا عنه

❋ عجز المخلوقين وإقامة الحجة:

❀ إن **الإتيان بمثل القرآن لم يكن قط في قدرة أحد من المخلوقين** ولهذا البليغ ينقح الخطبة أو القصيدة حولاً ثم ينظر فيها فيغير فيها وكتاب الله سبحانه لو نزعت منه لفظة ثم أُدير لسان العرب على لفظة أحسن منها لم توجد.

❀ نحن تتبين لنا البراعة في أكثره ويخفي علينا وجهها في مواضع، لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق وجودة القريحة وميز الكلام، **وقامت الحجة على العالم بالعرب** إذ كانوا أرباب الفصاحة ومظنة المعارضة، كما قامت الحجة في معجزة عيسى بالأطباء وفي موسى بالسحرة.

❋ السابع: أن وجه الإعجاز **الفصاحة وغرابة الأسلوب والسلامة من جميع العيوب** وغير ذلك **مقترناً بالتحدي** واختاره الرازي.

مثاله: قال تعالى: {قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله} والمراد: **بمثل نظمه**

بدليل قوله تعالى: {فأتوا بسورة من مثله}.

❋ الثامن: ما فيه من **النظم والتأليف والترصيف وأنه خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلام العرب ومباين لأساليب خطاباتهم** اختاره القاضي أبو بكر.

سؤال ما الذي وقع التحدي به؟ أهو الحروف المنظومة؟ أو الكلام القائم بالذات؟ أو غيره؟ قال القاضي أبو بكر: الذي تحداهم به أن يأتوا على الحروف التي هي **نظم القرآن**، منظومة حكمها، متتابعها كتتابعها، مطردة كاطرادها، ولم يتحدهم إلى أن يأتوا بالكلام القديم الذي لا مثل له.

❋ التاسع: أنه **شيء لا يمكن التعبير عنه** وهو اختيار السكاكي.

قال السكاكي: " شأن الإعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحة ولا طريق إلى تحصيله لغير ذوي الفطر السليمة إلا بإتقان علمي المعاني والبيان والتمرن فيهما".

❋ العاشر: إن الإعجاز فيه من حيث **استمرت الفصاحة والبلاغة فيه من جميع أنحائها في جميعه استمراراً لا توجد له فترة ولا يقدر عليه أحد من البشر** وهو قول حازم القرطجاني.

كلام العرب ومن تكلم بلغتهم **لا تستمر الفصاحة والبلاغة في جميع أنحائها في العالي منه إلا في الشيء اليسير المعدود.**

❋ الحادي عشر: ذهب الأكثرون من علماء النظر: إن وجه الإعجاز فيه من **جهة البلاغة**، قاله الخطابي.

أجناس الكلام ومراتبها في درجة البيان ودرجاتها في البلاغة:

قال الخطابي:

"والتحقيق أن أجناس الكلام مختلفة ومراتبها في درجة البيان متفاوتة ودرجاتها في البلاغة متباينة غير متساوية ... حازت بلاغات القرآن من كل قسم من هذه الأقسام حصة وأخذت من كل نوع شعبة فانتظم لها بامتزاج هذه الأوصاف نمط من الكلام **يجمع صفتي الفخامة والعذوبة** وهما على الانفراد في نعوتها كالمتضادين لأن العذوبة نتاج السهولة والجزالة والمتانة في الكلام يعالجان نوعاً من الوعورة فكان اجتماع الأمرين في نظمه مع نبو كل منهما عن الآخر فضيلة خص بها القرآن".

قرآن يتلىٰ لإنسانية ترقىٰ

سؤال لماذا تعذر على البشر الإتيان بمثله؟؟؟

- لأن علمهم لا يحيط **بجميع أسماء اللغة العربية.**
- لأن علمهم لا يحيط بجميع **أوضاع اللغة العربية** التي هي ظروف المعاني الحوامل.
- لا تدرك أفهامهم **جميع معاني الأشياء** المحمولة على تلك الألفاظ.
- لا تكمل معرفتهم **باستيفاء جميع وجوه النظوم** التي بها يكون ائتلافها فيتوصلوا باختيار الأفضل من وجوهها.

مقومات الكلام:

لفظ حامل | معنى به قائم | رباط لهما ناظم

مقومات الكلام في القرآن وإعجازه:

مقومات الكلام موجودة في غاية الشرف والفضيلة في القرآن، وقد توجد هذه الفضائل الثلاث على التفرق في أنواع كلام البشر وأما أن توجد مجموعة في نوع واحد منه فلم توجد إلا في كلام العليم القدير الذي أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً

فخرج من هذا أن القرآن إنما صار معجزا لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمناً أصح المعاني من:

- توحيد الله تعالى وتنزيهه في صفاته ودعاء إلى طاعته.
- بيان لطريق عبادته في تحليل وتحريم وحظر وإباحة.
- وعظ وتقويم وأمر بمعروف ونهي عن منكر.
- إرشاد إلى محاسن الأخلاق وزجر عن مساويها.

واضعاً كل شيء منها: موضعه الذي لا يرى شيء أولى منه ول ايتوهم في صورة العقل أمر أليق به منه

قد أودع فيه: أخبار القرون الماضية - وما نزل من مثلات الله بمن عصى وعاند منهم - منبئاً عن الكوائن المستقبلة في الأعصار الماضية.

جامعاً في ذلك بين: الحجة والمحتج له والدليل والمدلول عليه ليكون ذلك أوكد للزوم ما دعا إليه وإنباء عن وجوب ما أمر به ونهى عنه.

عجز البشر:

انقطاع وعجز | إنكاروافتراء | الاعتراف تارة | الجهل والحيرة

١. العجز: معلوم أن الإتيان بما ذُكر من هذه الأمور والجمع بين أشتاتها حتى تنتظم وتتسق، أمرٌ تعجز عنه قوى البشر ولا تبلغه قدرتهم فانقطع الخلق دونه، وعجزوا عن معارضته بمثله، ومناقضته في شكله.

٢. الإنكار: صار المعاندون للقرآن ممن كفر به وأنكره يقولون مرة إنه شعر لما رأوه منظوماً ومرة إنه سحر لما رأوه معجوزاً عنه.

٣. الاعتراف تارة: كان المعاندون يجدون له وقعاً في القلب وقرعاً في النفس يريبهم ويحيرهم فلم يتمالكوا أن يعترفوا به نوعاً من الاعتراف ولذلك قالوا: إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة.

٤. الجهل والحيرة: {وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا} مع علمهم أن صاحبهم أمّيّ وليس بحضرته من يملي أو يكتب شيئاً ونحو ذلك من الأمور التي أوجبها العناد والجهل والعجز.

عمود البلاغة التي تجتمعا لها هذه الصفات هو:

وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه إما تبدل المعنى الذي يفسد به الكلام أو إذهاب الرونق الذي تسقط به البلاغة

تأثير القرآن في القلوب:

قال الخطابي: وقلت في إعجاز القرآن وجها آخر ... وهو صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس... قال الله تعالى: {لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية} وقال تعالى: {الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم}، ولهذا أسلم جبير بن مطعم لما سمع قراءة النبي ﷺ للطور حتى انتهى إلى قوله: {إن عذاب ربك لواقع} قال: خشيت أن يدركني العذاب وفي لفظ كاد قلبي يطير فأسلم وفى أثر آخر أن عمر لما سمع سورة طه أسلم وغير ذلك.

❋ الثاني عشر: **وهو قول أهل التحقيق**:- إن الإعجاز وقع بجميع ما سبق من الأقوال لا بكل واحد عن انفراده .

القدر المعجز من القرآن

قال أبي الحسن الأشعري أقل ما يعجز عنه من القرآن **السورة** قصيرة كانت أو طويلة أو **ما كان بقدرها**، ولم يقم دليل على عجزهم عن المعارضة في أقل من هذا القدر

التحدي:

١. أولاً تحداهم سبحانه في **الإتيان بمثله** فقال: {قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا}.

٢. ثم تحداهم **بعشر سور منه** وقطع عذرهم بقوله: {قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات} وإنما قال: {مفتريات} من أجل أنهم قالوا لا علم لنا بما فيه من الأخبار الخالية والقصص البالغة فقيل لهم: مفتريات إزاحة لعللهم وقطعا لأعذارهم فعجزوا.

٣. لما عجزوا عن العشر ردهم إلى **سورة واحدة من مثله** مبالغة في التعجيز لهم فقال: {وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين} أي يشهدون لكم أنها في نظمه وبلاغته وجزالته فعجزوا فقال تعالى: {فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا} مبالغة في التعجيز وإفحاماً لهم {اتقوا النار} وهذه مبالغة في الوعيد مع أن اللغة لغتهم والكلام كلامهم.

شهادة الوليد بن المغيرة في إعجاز القرآن:

كان سيد قريش وأحد فصحائهم فلما سمع القرآن أخرس لسانه وبلد جنانه وأطفئ بيانه وقطعت حجته وقصم ظهره وظهر عجزه وذهل عقله حتى قال: قد عرفنا الشعر كله هزجه ورجزه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر!

قالت له قريش: فساحر قال: وما هو بساحر قد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثه ولا عقده والله إن لقوله لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمغدق وإن أعلاه لمثمر وإنه ليعلو ولا يعلى سمعت قولا يأخذ القلوب.

قالوا: مجنون قال: لا، والله ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا بوسوسته ولا رعشته.

قالوا: كاهن قال: قد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكهان ولا بسجعهم ثم حملته الحمية فنكص على عقبيه وكابر حسه فقال: {إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر}.

هل يُعلم إعجاز القرآن ضرورة؟

إن الأعجمي لا يمكنه أن يعلم إعجازه إلا استدلالاً وكذلك من ليس ببليغ، فأما البليغ الذي أحاط بغالب مذاهب العرب وغرائب الصنعة فإنه يعلم من نفسه ضرورة عجزه وعجز غيره عن الإتيان بمثله.

الحكمة في تنزيه النبي عليه السلام عن الشعر

١. أنه سبحانه أخبر عن الشعراء بأنهم "في كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون".
٢. للشعر شرائط لا يسمى الإنسان بغيرها شاعراً، فهو بين كذب وإضحاك فنزه الله نبيه عن هاتين الخصلتين وعن كل أمر دنيء.
٣. أهل العروض مجمعون على أنه لا فرق بين صناعة العروض و الإيقاع، والإيقاع ضرب من الملاهي ولا يصلح ذلك لرسول الله ﷺ

تنزيه الله القرآن عن أن يكون شعراً {وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين} القرآن مجمع الحق ومنبع الصدق.

سؤال: قيل قد وُجد في القرآن ما وافق شعراً موزوناً إما بيتاً تاماً كقوله: {وجفون كالجواب وقدور راسيات} أنه من الرَّمَلِ وغيره...؟

١. قال القاضي أبو بكر: لو أن الفصحاء -الذين أورد عليهم القرآن اعتقدوه شعراً ولم يروه خارجاً عن أساليبهم لبادروا إلى معارضته لأن الشعر منقاد إليهم فلما لم يعمدوا إلى ذلك دل على أنهم لم يعتقدوا فيه ذلك وأولئك هم ملوك الكلام مع شدة حاجتهم إلى الطعن في القرآن والغض منه والتوصل إلى تكذيبه بكل ما قدروا عليه.

٢. إن ما كان على وزن بيتين إلا أنه يختلف وزنها وقافيتها فليس بشعر أصلاً.

٣. إن الرجز ليس بشعر أصلاً.

٤. أقل ما يكون من الرجز شعراً أربعة أبيات وليس ذلك في القرآن بحال.

اختلاف المقامات ووضع كل شيء في موضع يلائمه

لو أبدل واحد منها بالآخر ذهبت تلك الطلاوة وفاتت تلك الحلاوة

مثال وضع الألفاظ في كل موضع يلائمها:

قوله: {ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه} وفي موضع آخر: {في بطني محررا} استعمل الجوف في الأول والبطن في الثاني مع اتفاقهما في المعنى ولو استعمل في أحدهما في موضع الآخر لم يكن له من الحسن والقبول عند الذوق ما لاستعمال كل واحد منهما في موضعه.

مثال المقامات:

مقام الترغيب كقوله تعالى: {يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا} نجده تأليفاً لقلوب العباد وترغيباً لهم في الإسلام.

مقام الترهيب فهو مضاد له كقوله تعالى: {ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها} .

قرآن يتلى لإنسانية ترقى